[199] ومن عجيب أمره أنه كان أجمع الناس لدواعي الترفع، ثم كان أدناهم إلى التواضع، و ذلك أنه صلى ا عليه واله كان أوسط الناس نسبا، وأوفرهم حسبا، وأسخاهم وأشجعهم وأزكاهم و أفصحهم، وهذه كلها من دواعي الترفع، ثم كان من تواضعه أنه كان يرقع الثوب، ويخصف النعل، ويركب الحمار، ويعلف الناضح (1)، ويجيب دعوة المملوك، ويجلس في الارض، ويأكل في الارض (2)، وكان يدعو إلى ا من غير زبر ولا كهر (3) ولا زجر، ولقد أحسن من مدحه في قوله. فما حملت من ناقة فوق ظهرها * أبر وأوفى ذمة من محمد (4) وفي قوله تعالى: " قل لا أقول لكم عندي خزائن ا " أي خزائن رحمته، أو مقدوراته، أو أرزاق الخلائق " ولا أعلم الغيب " الذي يختص ا تعالى بعلمه، وإنما أعلم ما علمني " ولا أقول لكم إني ملك " أي لا أقدر على ما يقدر عليه الملك، فاشاهد من أمر ا وغيبه ما تشاهده الملائكة " إن أتبع إلا ما يوحى إلي " يريد ما أخبركم إلا بما أنزل ا إلي (5). أقول: الحاصل أني لا أقدر أن آتيكم بمعجزة وآية إلا بما أقدرني ا عليه، و أذن لي فيه، ولا أعلم شيئا إلا بتعليمه تعالى، ولا أعلم شيئا من قبل نفسي إلا بإلهام أو وحي منه تعالى، ولا أقول: إني مبرأ من الصفات البشرية من الاكل والشرب وغير ذلك. وقال الطبرسي رحمه ا في قوله تعالى: " خذ العفو " أي ما عفا من أموال الناس، أي ما فضل من النفقة، فكان رسول ا صلى ا عليه واله يأخذ الفضل من أموالهم ليس فيها شئ موقت، ثم نزلت آية الزكاة فصار منسوخا بها، وقيل: معناه خذ العفو من أخلاق الناس،

---

(1) الناضح: البعير يستقى عليه. (2) في المصدر: ويأكل على الارض. (3) زبره عن الامر: منعه ونهاه عنه، زبر السائل: انتهره. وفي المصدر: من غير زئر، وهو من زأر الاسد: صات من صدره. والكهر: استقبالك إنسانا بوجه عابس تهاونا به. (4) مجمع البيان 2: 526 و 527. وفي المنقول اختصار وكذا في ما يأتي. (5) مجمع البيان 4: 304.